IQBAL REVIEW (65: 2)
(April – June 2024)
ISSN(p): 0021-0773
ISSN(e): 3006-9130

محمد إقبال شاعر الفكر الإسلامي

إقبال أحمد الشترالي
محاضر زائر بمركز الشيخ زايد للعلوم الإسلامية
بجامعة بنجاب، لاهور

ABSTRACT

Muhammad Iqbal is considered one of the most influential poets of the Muslim world. Despite being a prolific poet, Iqbal gained more fame and recognition as a philosopher and an intellectual. Due to the dissemination of his works in major international languages, Iqbal gained large traction in the Arab world and left a strong impression on towering figures of the Muslim world, such as Taha Hussain, Abdul Wahab Azzam, Syed Qutb, Ahmad Hassan Ziyad, Abul Hasan Nadwi and others. This paper traces the intellectual foundations of Iqbal's philosophy and his contribution to development of contemporary Islamic thought.

Keywords:
الفلسفة الذاتية، والأدب العربي، الشعر الإسلامى

الشاعر الفيلسوف محمد إقبال يُعد من أبرز الشعراء المسلمين الذي رُزق من القبول والانتشار كشاعر ومفكر وفيلسوف في جميع بلاد العجم والعرب. اشتهرت مجموعة من الشخصيات المسلمة أديبا وشاعرا وفيلسوفا ولكن محمد إقبال اشتهر مفكرا اسلاميا أكثر من شاعر وأديب الذي زرع الفكر الإسلامي في الشباب المسلم من خلال أشعاره وفكره كما ترجمت دواوينه بلغات عديدة وعلّق عنه وأشاد بفكره من الشخصيات العظيمة من العرب والعجم، كتب عنه الدكتور طه حسين وعبدالوهاب عزام وأحمد حسن زيات وسيد قطب والشيخ أبوالحسن الندوي وغيرهم من الأعلام الذين نجحوا بناء المقام العالي في قلوب الناس.

وكان إقبال شاعرا وفيلسوفا ومفكرا إسلاميا خدم الدين الإسلامي بقصائده وإبداعه وجدد فكره ونادى شباب العالم الإسلامي إلى إختيار دينهم وأعلمهم أن العمل بالدين سيأتى لهم التطور والإزدهار في مسابقة العالم وحاول زرع سيرة الصحابة والخلفاء الراشدين فى نفوسهم، وتطورت الأجيال الشابة من المسلمين في شبه القارة الهندية وخارجها، أفكارها عن كيفية جعل الدين الإسلامي سببا رئيسيا لنجاحهم في الدنيا والآخرة. وحاول إقبال للإتحاد والإتفاق بين مسلمي شبه القارة الهندية وعلّمهم أن وحدة الأمة المسلمة هي حل وحيد لإنقاذهم من الإنحطاط.

ومن أكثر الأقوال تداولا عن شاعر الشرق محمد إقبال عبارة وصفية لأديب حسن الزيات ''نبت جسمه في رياض كشمير، وانبثقت روحه من ضياء مكة المكرمة، وتألف غناؤه من ألحان شيراز، لسان لدين الله في العجم يفسّر القرآن الكريم بالحكمة، ويصور الإيمان بالشعر، ويدعو إلى حضارة شرقية قوامها الله والروح، وينفّر من حضارة غربية تقدس الإنسان والمادة.''[1]

نبذة عن شخصية محمد إقبال

إختلف المؤرخون في تعيين تاريخ ولادة الشاعر الفيلسوف محمد إقبال، حيث قال بعضهم أنه وُلد في مدينة سيالكوت بإقليم البنجاب عام ١٨٧٧ م وهذا معروف عند رجال القلم ولكن بعض المؤرخين من الباكستانيين عيّن تاريخ ولادته حسب شهاداته الأكاديمية ويقولون أن محمد إقبال وُلد في عام ١٨٧٥م في أسرة فقيرة عند

رجل يعلو بقلبه وأفكاره على حدود البلدان والأزمان، ولد شاعر نابغ ومفكر عظيم من الأعلام يهبه الله تعالىٰ البشر فى الزمن بعد الزمن ـ بدأ إقبال تعليمه الإبتدائى عند أبيه شيخ نور محمد وحفظ بعض سورا من القرآن الكريم فى المكتب، كما تدل عليه كثرة إقتباسه من القرآن الكريم خلال أشعاره، ثم أخذ والده إلى زميله يسمى مير حسن الذي قال له'' أريد أن تقوم بتعليمه الديني بدل ما يتعلمه بالمدرسة العصرية، فأجاب وهو متبسم : هذا الطفل ليس لتعليم المكاتب والمساجد وسيبقى داخل المدرسة العصرية۔[۲]

تلمذ إقبال مجموعة من الأساتذة والشخصيات العلمية في شتى الكليات والجامعات الباكستانية ومنهم الرجل الإنجليزي توماس آرنلد الذي وفاء بحقه على الشاعر محمد إقبال وعلى جميع المسلمين، كان أستاذا ماهرا للغة العربية بجامعة لندن، ثم أستاذ اللفلسفة بجامعة على كره بالكلية الحكومية بمدينة لاهور، كان شهير بوسعة علمه وتواضعه ونصرته للمسلمين، كما كان محبا ومؤيدا للحضارة الإسلامية۔ قد قام الأستاذ بتأليف الكتاب المسمىٰ ب''دعوة الإسلام'' ليوضّح أن الدين الاسلامي قد إنتشر وتطور بالدعوة لا بالسيف والقوة، ففصل عصر إنتشار الدين الإسلامي ولا سيّما فى الأطراف والجهات التى لم يكن لأهل الإسلام فيها قدرة وسلطان۔[۳]

وبعد أن حصل تعليمه العالي من باكستان وخارجها دخل إقبال في ميدان السياسة، وهو يعتبر أول شخصية من دعا إلى تقسيم شبه القارة فيكون لأهل الاسلام فيها موطن موضع يخصهمإ إذ رأى محالا أن يسكن جميع المجتمعات الهندية حزبا وجماعة واحدة أو جماعتين مساعدتين ومتعاونتين۔ وكانت هذه الدعوة عند الناس، دعوة غريبة وعجيبة رآها بعضهم بالتعجب والسخرية ورآها بعضهم حلم رجل مجنون ولكن إقبال كان يرى أن إنقاذ المسلمين من الإنحطاط وتحريرهم من الإحتلال الإنجليزي والهندوسي هو إنشاء الوطن لهم، فلهذا شارک فى جلسة الطاولة المستديرة عام ۱۹۳۱، ۱۹۳۲ المنعقدة في لندن، وقد كانت الجلسة تنظر فى دستور جديد لبلاد شبه القارة، وكان لأقواله وأعماله أثر واضح في أعمال الجسلة۔[۴]

شاعر الفكر الإسلامي:

ولا شك أن تفكير الفيلسوف والشاعر محمد إقبال تفكير إسلامي كاملا ، إذ أنه قام بجمع أفكاره مباشرة من كتاب الله والسنة النبوية والمصادر الشرعية، وهكذا وضحت روح الدين الإسلامي من خلال أشعاره وخطباته ومقالاته، وقد أنشأ المدرسة الفكرية خاصة له بعد أن طابق آراء وأفكارا، أعظم مفكرى بلاد الشرق والغرب على حقائق ماخوذة من القرآن، وصبغ تصوره وفكره للحياة بصبغة علمية وعملية في ضوء القرآن والسنة الشريفة.[5]

والقرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدر الأدب الإسلامي وغذاؤه ونبعه ورواؤه وقوته، ورغم أن أدب الشاعر محمد إقبال لم يكن باللسان العربي إلا أنه يتحمل مسؤلية حمل الفكر الإسلامي وعاطفة الدين الإسلامي، كما أن أدب الشاعر ظلّل بفرعيه اللغة الفارسية والأردية، كما نرى أن جميع كتب عن إقبال كتب عن تأثره بالشخصية الشهيرة جلال الدين الرومي ونيتشه وبرجسون وفيتشه والجيلي، وتأثره بالفلسفة الهندية القديمة والفلسفة الأوروبية الحديثة والشعراء الألمان والإيطاليين والإنجليز، إلا أن اللغة العربية وأدبها الذان يعدان عنصران هامان جدا بل أساسيا عند إقبال، الذي تجاهله العديد من الأشخاص، والأثر الذي تركه شعراء بلاد العرب في شعراء إيران لا يحتاج إلى وضوح وبيان، وعن طريق اللغة الفارسية إنتقل الجزء الكبير من هذا التأثير إلى اللغة الأردية، وليس من المبالغة إذا قلنا أن مقالات وأفكار شعراء العرب تركت أثرها الواضح على جميع الشعراء المسلمين في اكثر من بلاد العالم، فالحياة العربية كانت تقوم على الأسفار والرحلات، وترك هذا في شعرائهم أثره فظهرت لديهم المنازل وفراق الأحبة وفرقة الطريق والقوافل العابرة وانتقل هذا بدوره إلى شعراء المسلمين، وهكذا تأثر إقبال بالأدب العربي والإسلامي، كما أنه أجاد اللغة الفارسية أكثر من اللغة العربية إلا أن اللسان العربي تغلغل كثيرا في روح الشاعر، فإن اللغة العربية متعلقة بأهل العرب، وأن العرب أعزاء على إقبال، وقد أوجد هذا حصة ونصيبا من الحبو المودة في فكره وقلبه مما أثر على بيئته ومحيطه الذهنى، ومن يدرى ويفهم

فقد تكون حركة وفعالية تسلسل الحياة فى جزيرة العرب وما توجد فيها من حركة ونشاط دائم عاملا هاما وأساسيا فى بناء وصناعة النظام الفكري العام للشاعر محمد إقبال۔[۶]

ومن الواضح أن الإرتقاء والتقدم الفكري لدى إقبال كان تدريجيا، فقبل رحلته إلى بلاد أوروبا وفي الحصتين الأولين من ديوان إقبال ''بانک درا'' نجد قلة التأثير العربى والإسلامى، وبعد عودته من أوروبا تغير و تقلب الخط الفكري، فتراجع وانسحب عن القومية واتجه إلى الأمة كالأمة المسلمة، وقد بدأ هذا واضحا في الحصة الثالثة من ديوان الشاعر الذين يسمىٰ ''بانک دارا'' وفي ديوانه ''أسرار خودي'' وظهر جليا من خلال ديوانه الأخير يسمىٰ ''أرمغان حجاز''، كما ينكشف الأثر العربي في مقالات إقبال وكلامه بشتى الطرق، فبعض منها واضح وجلى وبعض منها بالكناية والتلميح، ويظهر بعضها الآخر من خلال تصويره الخيالى خلال الشعر، والشاعر محمد إقبال يصرح وينطق بأن العرب الذين عاشوا في الصحراء هم فاتحوا العالم وهم زينة العرب، في الحكايات والقصص التى أخذها الشاعر من كتاب الله والحديث النبوي ونظمها في أبياته تأثر فيها إلى حد كبير ببعض أجزاء و عناصر أدب العرب، ويتضح هذا الأمر في ديوان إقبال ''بانک درا'' لما نظم حكاية الخضر، فهو يجعل قارئيه ان يشعر ويحس بأصوات الإرتحال والرحيل فى مواضع الصحراء وقيظ الرمال والقوافل۔[۷]

وإذا أراد كل شخص أن يقف على حقيقة فلسفة (الذات) عند الفيلسوف محمد إقبال فعليه أن يفكر في قول العقاد الذي قال عنه''صوفية الشاعر إقبال التي لا تطول المناقشة والبحث عنها فى شعره ونثره ولا في سيرة حياته وسجل مساعيه وأعماله، فهو كان متصوفا ؛ لأنه يطالب للحياة سرّا لا يشاهده طالبه من النظرة الأولى؛ وهو مؤمن لأن السر والغموض لا يوجبان عليه أن يعاف حصته ونصيبه من الحياة الدنيوية ولا يكف صاحبه عن العمل، بل يدعوه الى العمل الذي يراه الله

والرسول والمؤمنون ''وقل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله والمؤمنون، وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون۔''[٨]

كما يقول أيضا عن الصوفية الإقبالية '' أما الرسالة والخطاب الذي إنفرد فيه الشاعر محمد إقبال بموضع ومكان خاص بين المصلحين من المسلمين فهى أن إقبال قام بإخراج الصوفية من حدودها المغلقة والضيقة، فصنعها تشمل الأمم المسلمة بأسرها، فليست هى حزب هذا الشيخ الكبير أو رفقة ذلک الولي والداعية، وليست هذه رياضة يقوم بإرتياضها بينه وبين نفسه، ولكن الصوفية هي طريقة من الطرق الإسلامية التي تقوم باصلاح كل فرد من أفراد المجتمع المسلم ولكل طائفة وأمة مسلمة۔[٩]

ودائما حث محمد إقبال المسلمين على الإتحاد والبعد عن كل شئى ما يقربه واتصله من التشبه باليهود كما يقول ابنه الدكتور جاويد إقبال أن الشاعر محمد إقبال كان يستنكر الملابس الإنجليزية وكان ينصح أولاده بارتداء وإستخدام السروال والملابس الشرقية۔ وبيّن إقبال أن اليهود ومساعديهم هم يوجهون أحقادهم وأخداعهم ومكائدهم إلى أهل الإسلام بصفة خاصة بينما يملكون ويحتلون الحكم الحقيقي في أوروبا، كما يقول في ديوانه ضرب كليم:

زمانہ اب بھی نہیں جس کے سوز سے فارغ — میں جانتا ہوں وہ آتش ترے وجود میں ہے
تری دوا نہ جنیوا میں ہے نہ لندن میں ہے — فرنگ کی رگ جاں پنجہ یہود میں ہے
سنا ہے میں نے غلامی سے امتوں کی نجات — خودی کی پرورش و لذت نمود میں ہے

ترجم هذه الأبيات عبدالله عزام قائلا:

لا يزال الزمان يصلى بنار — لم تزل فى حشاك دون خمود
لا دواء بلندن أو جنيوا — فوريد الفرنج بكف اليهود
ومن الرق للشعوب نجاة — قوة الذات وازدهار الوجود[١٠]

ويرى إقبال أن هدف حياة المسلم هو إعلاء كلمة الله والجهاد للإستيلاء على الأراضي المحرمة وهذا يظهر في أبياته ترجمه عبدالله عزام قائلا:

إنما المسلم بالحب قهر　　مسلم لا حب فيه قد كفر
غض للحق، وللحق نظر　　وله فى الحق نوم وسهر
فى ربى التوحيد أرسى العمدا　　وعلى الناس جميعا شهدا
وعليه يشهد الداعي الأمين　　شاهد أصدق كل الشاهدين[1]

حتى يقول محمد إقبال إن الحرب والهجمات على العدو إن طلبت بها صلاح الخلق فهي خير ولكنها إن أردت للحصول على المال أو لجاه فهى شر:

خير الحرب إذا رمت الإله　　شر الحرب إذا رمت سواه
فإذا لم يعل حقا سيفنا　　اكتسى بالحرب عارا جندا

ويقول إقبال إن التوحيد هي الروح في الأمة المسلمة وهى الطريقة الوحيدة في عودها وبها الحياة وبها القوة للأمة وأن التوحيد جمع الناس وسوّى بين شتى الألوان والأمة المسلمة قائمة بالتوحيد لا بالنسب ولا بالوطن وبيّنه في أبياته وترجمها عبدالله عزام قائلا:

أمم قد عبدت أوطانها　　وبنت من نسب بنيانها
أترى الأوطان أصل الأمم　　تعبد الأرض بها كالصنم؟
هذه الأنساب فخر السفهاء　　حكمها فى الجسم، والجسم هبا
ولنا في الحق أسّ آخر　　هو في الألباب منّا مضمر
قد خلصنا من حدود وقيود　　قلبنا في الغيب إذ نحن شهود[2]

---

[1] مجموعة من العلماء، محمد إقبال مختارات شعرية، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ۲۰۱۴ء، ص ۵

[2] سید سلطان محمود حسین (الدکتور)، اقبال کی ابتدائی زندگی، اقبال اکادمی، لاهور، ۱۹۷۶ء، ص۲۲

[3] مجموعة من العلماء، محمد إقبال مختارات شعرية، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ۲۰۱۴ء، ص۲۲

[4] مجموعة من العلماء ،محمد إقبال مختارات شعرية، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ۲۰۱۴ء، ص ۴۸

[5] سمير عبدالحميد(الدكتور)، إقبال وديوان أرمغان حجاز، لاهور، المكتبة العلمية، بدون سنة، ص۳۱

[6] سمير عبدالحميد إبراهيم(الدكتور)، إقبال والعرب، الرياض، مكتبة دار السلام، سنة ۱۴۱۴هـ، ص۳۱-۳۲

[7] ايضاً، ص ۳۴

[٨] العقاد ،عباس محمود، دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٧ء، ص١٥٥

[٩] ايضاً، ص١٥٧

[١٠] مجموعة من العلماء ،محمد إقبال مختارات شعرية، قطر، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ٢٠١٤ء، ص٤٨، ص ٧٥

[١١] عبدالله عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ء، ص٩٢

[١٢] عبدالله عزام، محمد إقبال سيرته وفلسفته وشعره، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢ء، ص١٠١